

إنهم يذبحون الأشجار: احتطابٌ داخل الأبيّض

قرشي عوض



060 - 060

«أصبح» قطع الأشجار داخل مدينة

هكذا قال مصدر مسؤول - طلب حجب اسمه - بإدارة الزراعة بوزارة الزراعة والموارد الطبيعية بولاية شمال كردفان، في حديثه مع «أتر».

وما أكثر من لا مهنة لهم في مدينة توقفت فيها أكثر من خمس شركات نقل عن العمل، كانت تُوظف الواحدة منها ألف عامل إلى جانب عمال الصيانة والعائلة المُرتبطة بها، وأغلقت شركات المواد الغذائية أبوابها، ولم يعد الذبيح يردُّ إلى مسلخ المدينة ولا حتى المنتجات الزراعية، فانخفضت السعة الاستيعابية للأسواق إلى أقل من 10%، حسب إفادات حصلت عليها «أتر» من أسواق المحاصيل والأسواق الطرفية في وقت سابق. لذا يمكن القول إنَّ غالبية السكان، قد فقدوا مهنتهم وحرفهم السابقة، وبدلاً عن أن يستدلوا على ما يمكن أن يُصلح الحال فعلاً، حملَ الناس فُؤوسهم وذهبوا للاحتطاب، وأغلبهم ليسوا بحطابين.

وقد أوقفت الحرب أول ما أوقفت دخول الوقود وغاز الطهي إلى مدينة الأبيض، فاتجهت المخازن إلى استخدام حطب الحريق. في حديثه لـ «أتر»، أوضح مصدر في شعبة المخازن بالغرفة الصناعية بالأبيض، أنَّ شركة شمال كردفان لخدمات المخازن هي التي كانت توفر غاز المخازن، بالتعامل مع ثلاث شركات، هي: قابكو، النيل، وأمان غاز، وتوقفت جميعها عن العمل.

تنتج الشجرة المُعمَّرة حوالي 4 أمتار مكعبة من الحطب. ما يعني أن عدد الأشجار التي قُطعت في العشرين شهرا الماضية هو 198.900 شجرة في محلية شيكان، أي بمعدل 9.945 شجرة في الشهر.

تجدر الإشارة إلى أنَّ حملة تشجير مدينة الأبيض كانت قد انطلقت في ستينيات القرن الماضي. وفي ذلك يقول الصحفي الرشيد يوسف، إنَّ الفكرة قد خرجت من صالون كردفان، وتبنتها صحيفة كردفان لصاحب امتيازها ورئيس تحريرها الصحفي المعروف الفاتح النور، وتحت شعار «إن لم تزرع شجرة فلا تقطع شجرة»، وسأهمَّ فيها طلاب المدارس الأولية، إذ أعطيت لكل طالب شتلتان ليزرع واحدة داخل المنزل والأخرى أمامه. ووَزعت إدارة الحملة ثلاثة أنواع من الشتول هي: النيم للظل، والبان كمصدات رياح، والمهوقني للأخشاب مستقبلاً؛ كما تعهَّدت بلدية الأبيض بتشجير الطرق والمرافق الحكومية. وأعلن حاكم إقليم كردفان في عام 1967 يوم 17 يوليو عيداً للشجرة وعَمَّم على الإقليم. ولم تُزرع في هذه الحملة شجرة لثمارها، فهل كانت الأشجار المثمرة ستبدو جدية بالحياة في نظر محتطي الحرب؟ ◆



هكذا تبدو أشجار الأبيّض اليوم داخل البيوت وخارجها. تصوير: مراسل أتر

مع الالتزام بعدم شراء أخشاب الهشاب والتبلدي، وهذا يعني أن الهيئة المعنية تحصل ما قيمته 13.923.000 جنيه في الشهر من رسوم حطب المخابز.

لكن قبل أكثر من شهر، منعت قوات الدعم السريع دخول الحطب والفحم إلى المدينة، ضمن خطة حصار محكمة من جميع الاتجاهات، فانتقل قطع الأشجار إلى داخل المدينة التي جرد المحتطون شوارعها من الخضرة في فترة قصيرة. ويؤكد مصدر من شعبة المخابز لـ «أتر»، أنهم خلال هذا الشهر باتوا يتحصلون على الحطب من الأشجار المقطوعة داخل المدينة، فضلاً عن ظهور كمائن الفحم وسط الأحياء العريقة، وإزالة أشجار الزينة من داخل المنتزهات العامة. وهذا يعني أن حوالي 497 شجرة قد قطعت داخل مدينة الأبيض بالتقريب، إذا قسمنا ما تستهلكه المخابز الـ 117 خلال شهر على ما تنتجه الشجرة الواحدة من الأمتار المكعبة. مصدرٌ بإدارة الغابات بمحلية شيكان،

ويُخبر بأن المدينة الآن تعمل بـ 117 مخبزاً كبيراً وصغيراً يُقدَّر متوسط ما تستخدمه من الحطب بـ 1.989 متراً مكعباً في الشهر، ما يعني أنها استوعبت منذ بداية الحرب وحتى ديسمبر الماضي 39.780 متراً مكعباً من الحطب، الذي يأتي من الغابات داخل محلية شيكان.

يقول أحد العاملين في المخابز إن إدارة الغابات، ولأنها لا تستطيع ملاحقة من يقطعون الأشجار في تلك الفلوات التي تنتشر فيها قوات الدعم السريع، فإنها تُتابع وصول الحطب إلى المخابز وتفرض غرامات قد تصل إلى 20 ألف جنيه على المتر المكعب. وفي أحيان كثيرة تحبس أصحاب المخابز في الحراسة.

أمام هذه الملاحظات، هدّد أصحاب المخابز بالتوقف عن العمل، فاجتمعت إدارة الغابات مع إدارة شعبة المخابز، ووصلنا إلى فرض رسوم شهرية تصل إلى 7 آلاف جنيه على المتر المكعب من الحطب في الشهر،

وتطلب من المؤسسات والمصالح الحكومية تخصيص عربة وسائق لنقل الطلاب إلى أماكن التخميم. واستطالت تلك الأشجار حتى عانقت عنان السماء؛ لكن كل ذلك الجهد المُمْتد في التاريخ لأكثر من 50 عاماً تحوّل في أقل من عامين إلى رماد تذرّوه الرياح.

وأرجع المصدر التابع لإدارة الزراعة بالوزارة، ما يحدث من قطع للأشجار والاحتطاب وصناعة الفحم داخل المدينة إلى السيولة الأمنية، فضلاً عن انعدام بدائل الطاقة، وأكد أنهم يعملون على الحد من قطع الأشجار بالإرشاد والتبصير بالمخاطر جراء القطع الجائر، وأضاف أنهم يعدّون العدة في خطة 2025 لإنتاج الشتول لإعادة إعمار البيئة رغم شحّ الإمكانيات وعدم توفر الميزانيات.

في مزيج من التحسّر والتحذير، يقول موسى شيخ الربيع، وهو درامي ومونولوجيست مشهور في الأبيض وناشط في مجال البيئة، إن آثار هذا القطع سوف تظهر في مقبل السنوات، لأن الأشجار بقدر ما هي مصدّات رياح فهي أيضاً تحدّ من اندفاع المياه وتحمي المدينة من اجتياح السيول والفيضانات، ويُخبر «أتر» بأن ما يحدث أفضح مما يسمّونه القطع الجائر والعشوائي، لأنه استئصال للأشجار من جذورها، كما أنه يستهدف أشجاراً لا تنمو في الغالب بسهولة، ولا يُمكن تعويضها في المدى القريب أو المتوسط مثل أشجار الهجليج.

تحدث لـ «أتر»، ذاكراً أنه لا يمكن تقدير عدد الأشجار التي قُطعت حتى الآن، فهناك استخدامات أخرى للحطب في غير المخابز، مثل كأمين الفحم التي انتشرت في أحياء كثيرة من المدينة، لكنّ هناك قطعاً جزئياً وقطعاً كلياً، كما أن هناك أشجاراً داخل مناطق ارتكازات الجيش أزيلت لأسباب حربية، وأحياناً دون مبررات أو لمصالح شخصية.

لاحظ مراسل «أتر»، أن أكثر الأشجار تعرّضاً للقطع داخل الأبيض هي الأشجار المُعمّرة والكبيرة مثل النيم والهجليج، لأنها تُنتج فحماً كثيراً، ونجت من القطع الجائر أشجار التبلدي الضخمة، لأنها لا تصلح للوقود وصناعة الفحم بطبيعتها. وعموماً لا توجد أشجار صغيرة أو مثمرة بكميات كبيرة، لغياب الاستزراع الدائم، فهذا النشاط توقف بسبب إهمال القطاع الغابي في المدينة والولاية، منذ بداية سبعينيات القرن الماضي. يقول المهندس صديق يوسف، عضو الحزب الشيوعي السوداني، في حديث سابق لمراسل «أتر»، وقد عاصر فترة الستينيات في المدينة، وعمل مديراً لهيئة مياه وكهرباء مدينة الأبيض، إن إدارة الغابات كانت تقيم معسكرات سنوية لطلاب الصف الثالث في مرحلة الأساس في العطلة الصيفية لاستزراع شجرة الهشاب، وكانت تغلب على شح وانعدام الميزانيات المخصصة لذلك بجمع التبرعات العينية والمادية من تجار المدينة،

2023

2023-01-20 10:00, 2023-01-20 2018, 30degW 2 130, NEMA



تُظهر الصورتان الفرق في
كثافة الغطاء النباتي في
الابيض بين يناير 2023
ويناير 2025. تعكس
درجات اللون الأخضر
كثافة الغطاء النباتي
وفق مقياس (NDVI)

Normalized Difference
Vegetation Index ، وهو
مؤشر يُستخدم لتحليل
الغطاء النباتي من الصور
الفضائية، حيث يقيس
صحة وكثافة النباتات
عن طريق مقارنة الضوء
الذي تعكسه النباتات
في الطيفين الأحمر
والأشعة تحت الحمراء
القريبة. تدل القيم
الإيجابية العالية (التي
تظهر بدرجات قوية للون
الأخضر) على صحة
الغطاء النباتي وكثافته،
بينما تشير القيم القريبة
من الصفر أو السالبة
(التي تظهر بدرجات
باهتة للون الأخضر)
إلى خلو المناطق من
النباتات.

2025

2025-01-20 10:00, 2025-01-20 2018, 30degW 2 130, NEMA



مراسل «أتر»، أن هناك شجرة هجليج معمرة نمت منذ عقود على حافة الخور، فاجتثها الحطاب في عدد محدود من الساعات، وأضاف أنهم حينما كانوا صغاراً كان هنالك اعتقادٌ بأن هذه الشجرة بالتحديد يسكنها «الجن والشياطين»، وكانوا يجتنبون المرور بجوارها في الليل. ويضيف: «اندهش أهل الحي كيف استسلم أهل العالم الآخر الذين يحرسونها لضربات الفأس! يبدو أن الموروث المكاني ليس له تأثير يُذكر على الحطاب».

صادف مراسل «أتر»، رجلاً يُحدّث امرأةً في حي القبة، وهو يلفت انتباهها إلى عدد من الرجال يهوون بفؤوسهم على الأشجار في حافة الخور المشهور بوسط الحي، قائلاً إن «هؤلاء النازحين فتح لهم الناس منازلهم ومدارسهم في حين يقومون بقطع الأشجار». ويعتقد عددٌ من سكان المدينة أن هؤلاء الحطابين الجدد قدموا من القرى المجاورة، وقد اعتادوا في أماكن سكنهم على الحصول على حاجتهم من الوقود من الغابة. يُحدّث أحد السكان



السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز سودان فاكس للصحافة



نعمل على السودان
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

على WhatsApp أو Signal،
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:
+254115438212

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
atar@sudanfacts.org

لزيارة موقعنا الإلكتروني:
www.atarnetwork.com

 [@atarnetwork](https://www.atarnetwork.com)